

مفهوم الادراك في علم الجريمة (**)

تأليف ريتشارد هنشيل وروبرت سلفرمان

عرض : عبد الله الصادق ابراهيم (**)

حوى هذا الكتاب ثلاثة اجزاء رئيسية : تضمن الجزء الاول : مقدمة وعرضا لبعض الموضوعات الاساسية منها : الملاحظة كمسلك منهجى يلجأ اليه رواد نظرية رد الفعل الاجتماعى وأداة تعين هؤلاء فى دراسسة ظواهرهم خاصة الانحراف والمعوقات التى تحول بين الفرد وتكيفه مع المحيط الاجتماعى المباشر ، والجزاءات التى يوقعها المجتمع أو القانون على الفرد المجرم . هذا وقد تناول هذا الجزء بعض الدراسات الميدانية لمعرفة مسببات الجريمة واجراء المقارنات بين المنحرفين وغيرهم لمعرفة دوافع الجريمة ومدى ورائية هذا السلوك أو اكتسابه ، ونوع العقاب الذى يوقعه المجتمع أو القانون فى حالة جرم السلوك .

تضمن الجزء الثانى من هذا الكتاب اشارة الى مفهوم العدالة والقانون الجنائى والمعنى العام لمصطلح الجريمة والاتجاهات العامة فى تفسير السلوك الاجرامى ، وحكم القانون فى حالة الاحتجاج أو المعارضة ، ومدى شرعية أو منطقية الحكم على جرم السلوك . وعقد مقارنات بين أفعال المجرمين فى بعض البلاد مثل أمريكا وبريطانيا وبين شرعية ومنطقية الحكم على جرم تلك الافعال فى تلك البلاد ، وما هى المسئولية الجنائية المترتبة على هذا الفعل ؟ وما هى الاسباب الكامنة وراء ارتكاب هذا السلوك .

شمل الجزء الثالث من هذا الكتاب توضيحا لرد الفعل الاجتماعى تجاه السلوك المنحرف . ويتضمن هذا دراسة الواقع الاجتماعى للجريمة ، ودور الشرطة فى تضخيم عملية الانحراف ، ومدى استجابات الافراد تجاه هذا السلوك ، واجراء بعض الدراسات عن نظرية الوصمات وهى احدى نظريات رد الفعل الاجتماعى ومؤدى تلك النظرية أن المجتمع هو الذى يسم أو يدمغ السلوك بسمة معينة لان السلوك فى مضمونه واحد لا يتغير لكن

* Richard L. Henschel and Robert A. Silverman, Perception in Criminology, Columbia Un. Press, N. Y. 1975.

(**) مدرس مساعد بقسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة .

الذى يتغير هو مدى الحكم على طبيعة هذا السلوك ، وتركيز الاهتمام نحو دراسة المنحرفين . وفي النهاية محاولة نقدية تظهر موقع نظرية رد الفعل الاجتماعي بين النظريات الفسرة للجريمة .

تصور مفهوم الادراك مقدمة الكتاب ، وقد حظى هذا المفهوم باهتمام علماء الاجتماع والفلاسفة الاجتماعيين أمثال « ماكس فيبر » و « توماس » و « جورج ميد » الذين يبحثون دائما عن الحقيقة وراء كل شيء ، وكذلك فلاسفة البراجماتية أمثال « كارل مانهايم » و « الدارسمين للقيومات والاحناس » وقد تناولت مقدمة هذا الكتاب مفهوم رد الفعل Labeling أى الادماغ ومؤدى هذا أن المجتمع هو الذى يدمج السلوك أو يسميه بسمية معينة بأنه إجرامى من عدمه على سبيل المثال ، وهنا يظهر مفهوم الإدراك ذا أهمية كبرى فى الميدان الاجتماعى والفلسفى ، وفى هذا الصدد حاول « ريتشارد هنشل » و « روبرت سلفرمان » توضيح ذلك المفهوم وإزالة اللبس والفهموض حوله وذلك لخدمة علم دراسة السلوك الإجرامى بصفة خاصة وخدمة كافة أشكال السلوك الإنسانى بصفة عامة .

يلاحظ أن استخدام علماء النفس لمفهوم الإدراك يظهر بصورة واضحة عن استخدام علماء الاجتماع له يبدو ذلك واضحا فى عمليات التفسير النفسى وقياس القدرات العقلية . ولذلك فقد أعطى علماء الاجتماع لهذا المفهوم اهتماما بالغا ويبدو ذلك واضحا فى تركيزهم على تلك الفكرة التى مؤداها : أنه يوجد لدى الناس أفكار ووجهات نظر عديدة حول طبيعة الأفعال الاجتماعية ، وكذلك حول طبيعة التفاعل الاجتماعى وينطبق هذا القول على الفرد والجماعة . وفى هذا يقول المؤلفان أن بؤرة الاهتمام تنصب حول ما هو كائن وليس حول ما كان وما هو فى الماضى وأن الشيء الهام أو الفكرة النافعة هى تلك التى تحقق فائدة . وفى هذا اتفاق واضح مع فلاسفة البراجماتية الذين يؤمنون بأن الفكرة تكون صادقة اذا حققت من وجودها نفعاً وهذا هو قلب اهتمام نظرية الحق أو الصدق البرجماتى .

فالادراك هو ما يحمله الناس من مواقف الرضا والافتقار وهنا يبدو الشيء الهام هو كيف يرى الناس العالم من حولهم وكيف يدرك الإنسان العالم المحيط به أو كيف يكون هذا العالم واضحا امام البشر فالمدرسات تختلف باختلاف البشر ، وفى هذا يحاول « أرون بوتشر » Arwin Beutcher ادراك حقيقة الخلافات والصراعات التى تدور حول ما نفعله وما يجب أن نفعله وما نقوله وما يجب أن نقوله وما هو عام وخاص وكان الهدف من تلك الدراسة التعرف على ما يدور داخل الفرد نفسه وما يعتقده

وما يفعله وما يجب أن يفعله تجاه هذا السلوك .

وقد ساهمت نظرية الإدراك في إثراء علم دراسة السلوك الإجرامى اسهاما عظيما وان كانت قد تعثرت منذ البداية لما واجهته من صعوبات حالت بينها وبين تقدمها وانتشارها بالدرجة التى يمكن القول معها أنه ليس هناك جهود مجتمعة حول المصادر الأولية المتصلة بنظرية الإدراك فى علم دراسة الجريمة . وجاءت نظرية رد الفعل الاجتماعى لتحل مكانتها بين تلك النظريات التى

قدمت اسهامات عظيمة الشأن فى تفسير السلوك الإجرامى بصفة خاصة وفى تفسير السلوك الانسانى بعمامة . ومن هذا المنطلق جاءت نظرية الإدراك لكى تثرى تلك الأعمال وتنظم تلك الجهود المبثرة وتجدد الامل فى اعادة تجميع المادة على أسس معرفية ومنهجية سليمة ووضعها فى اطار موحد شامل . وحاولت تلك النظرية ايضا ادماج المفهومات المشتقة فى بعضها مثل مفهوم **رد الفعل المادى** labeling material ومفهوم الإدراك فى علم الجريمة ومفهوم الإدراك فى العدانة الجنائية . ومفهوم الإرادة مثل هذه المفاهيم سوف يقدم التسهيلات الملحوظة فى عمليات البحث والدراسة لعلم الجريمة فى معالجة موضوعات تتصل بهيدان هذا العلم وبمبادئ أخرى .

وقد تضمن هذا الكتاب بعض الموضوعات منها :-

- ١ - نقد الاحصاءات الجنائية .
- ٢ - دراسة الواقع الاجتماعى للجريمة .
- ٣ - الاتجاه الميكانيكى فى تفسير السلوك الإجرامى .
- ٤ - الاتجاه الارادى فى تفسير السلوك الإجرامى .
- ٥ - الخلاف بين الاتجاه الميكانيكى والارادى فى تفسير السلوك الإجرامى .
- ٦ - الاهتمام بالذهب العقلاى فى تفسير السلوك الإجرامى .

فيمكن الاعتماد على الاحصاءات الجنائية فى تقديم بيانات واقعية عن طبيعة السلوك الإجرامى سواء كان ذلك فى صورة كمية او كيفية مثال ذلك التقارير الرسمية للمجرمين والمسجونين وهذه مؤشرات على وجود الجريمة، وربما لا تمثل تلك الاحصاءات الجنائية الواقع الاجتماعى للجريمة من هنا كان امر دراسة الواقع الاجتماعى للجريمة وجمع المعلومات من خلال معاشية الظاهرة فى غاية الاهمية . وفى هذا يقول « جونسون » أن الاحصاءات

الجنائية يمكن ان تصحح بعض الاخطاء التى وقع فيها البعض وهو يجمع معلومات عن بعض ظواهر الجريمة . وفى هذا ينود « بيكر » الى ان البيانات التى جمعها بعض علماء الاجتماع وعلماء دراسة السلوك الاجرامى بصفة خاصة يمكن ان تلتبس العذر للاحصاءات الجنائية وتخفف عنها النقد الموجه اليها .

وقد حاولت النظرية الميكانيكية تقديم تفسير لطبيعة السلوك الاجرامى مؤادة ان الظواهر التى تحدث مصاحبة للسلوك تقترن بوجود هذا النمط من السلوك وليست خالقة له ، فالمفهوم الميكانيكى هنا يشير الى الطبيعة الدينامية الفعالة للسلوك ، وتذهب تلك النظرية الى ان هناك مجموعة من العوامل الاجتماعية التقليدية تلعب دورها فى تشكيل هذا السلوك . وتمثل تلك العوامل فى الطبقة الاجتماعية ودرجة القرابة وأعمار الوالدين ونظام الميلاد . هذا الى جانب وجود عوامل أخرى مثل العامل الجغرافى تلعب دورها أيضا فى تشكيل هذا السلوك .

وجاءت نظرية الارادة لتقدم تفسيراً آخر للسلوك الاجرامى هادفة للمعنى الكامن وراء هذا السلوك ، فالسلوك يحمل معنى ذاتى فحينما يؤدي الفرد بعض الحركات المادية كالمشى والركوع والسجود فان هذه الحركات المادية تنطوى على معنى معين . وان الركوع والسجود والمشى ينطوى تحت قيمة معينة هى قيمة التدين ، وهذه القيمة ترتبط ببناء اجتماعى وثقافى معين هو ثقافة المجتمع المسلم . فاذا كان السلوك يؤدي وظيفة معينة وقد تشكل هذا السلوك بفعل متغيرات او عوامل معينة فان لهذا السلوك معنى أيضا . وهنا يأتى دور العوامل الاجتماعية فى تفسير السلوك لتحل محل العوامل الميكانيكية فى تفسير السلوك . وهكذا جاءت وجهة النظر الاجتماعية لدحض الاتجاه الميكانيكى فى تفسير السلوك .

واذا كان هناك تأكيد على دور الاتجاه الميكانيكى والارادى فى تفسير السلوك الاجرامى فانه يظهر دور آخر لاتجاه جديد هو الاتجاه العقلى . وفى اطار ذلك الاتجاه تظهر التيم والاتجاهات والاهداف التى يحملها كل فرد . بل أصبح هذا الاتجاه علامة مميزة نحو كل هدف يسعى الفرد الوصول اليه . وعلى هذا يمكن القول ان مفهوم الادراك جاء من وحى عقل الكاتب ولم يأت من خلال البحث عن الحقيقة الكامنة خلف هذا الاطار .

قدم « شيف » Scheff اسهامات عظيمة لتوضيح رد الفعل تركزت حول الخلل الوظيفى الذى يصيب العقل فى مرحلة معينة وفى وقت معين ، وفى

هذا مسلك « والتر بيكلي » Welter Buckley نفس الخط الذى
 سلكه شيف وقد أضاف الكثير . وتمثل تلك الإضافات فى امكانية تفسير
 مفهوم الادراك وفقا لما يراه أنصار تلك النظرية بوجهتين من النظر :-

الاولى : تتلخص فى عرض انطباعات الانفراد الآخرين تجاه الفرد
 المنحرف وما يحمله هؤلاء عن ذلك الفرد .

الثانية : يمكن عرضها بطريقة توضح مدى التغيرات والتطورات المحتملة
 فى مدركات الفرد المنحرف للموقف المحيط به والظروف التى يعيشها هو نفسه
 هذا فضلا عن الكشف عن انطباعاته الشخصية عن الآخرين واتجاهاتهم
 نحوه . وهنا يبدو رد الفعل الاجتماعى فى مدى حكم الغير على الفرد وانطباع
 الاخير عن الآخرين .

وقد تكون الاسباب الكامنة وراء السلوك الاجرامى بيولوجية او سيكولوجية
 او اجتماعية فقد يتصرف الانفراد فى بعض الاوقات بطريقة غير عادية وينظر اليهم
 على انهم فعلا غير عاديين وسلوكهم هذا خاطىء . لكن هذا السلوك لا يستمر فترة
 طويلة الا وتحدث تغيرات فى جو العائلة او فى النطاق الاجتماعى المحيط بالفرد .
 وهنا يطالب الفرد والجماعة بالعدول عن هذا السلوك والانصياع لقالب الحياة
 الاجتماعية . مثل تلك الاستجابات تمارس اثرا على الفرد وتشكله - وتجعله
 ينسجم مع القوالب الاجتماعية وتكون تلك العملية ثمرتها فى فترة التنشئة
 الاجتماعية . وهكذا يمكن القول بوجود رد الفعل الاجتماعى تجاه الذلل
 الوظيفى للعقل أى أنه حينما يشرذم العقل ويسلك مسلكا منافيا لنواميس
 المجتمع فان المجتمع يرد على هذا الفرد بالعدول عن هذا المسلك . هذا فى
 الوقت الذى يرى فيه الفرد آثار تلك العملية بنوع من الضرر يدفعه الى
 التشرذم . وقد يحدث هذا أيضا خلال التنشئة الاجتماعية . من هنا نقول
 ان هذا الفرد شاذ فى سلوكه ومنحرف .

هناك دليل قائم على قوة القانون فى الحياة الاجتماعية فمعظم الناس
 الخارجين على نظام الكون يتعرضون لطائلة العقاب اما بالقبض عليهم فى حالة
 ارتكابهم هذا العمل الاجرامى ، واما يرد المجتمع عليهم بنوع من العقاب
 الرادع وفق ما تحكم به قيم المجتمع ومعايره . وهنا يتساءل « جاز فنكل »
 الى أى مدى تنهار معايير مجتمع يعيش اقتصاده على طريقة تقليدية وسلبية
 وما يصاحب ذلك من انهيار فى القواعد القانونية التى تسود تلك المجتمعات
 وترتب على ذلك وجود رد فعل مباشر تجاه تلك الانفعال التى تعتمد أساسا

على عدم الادراك وسوء الفهم لطبيعة الظروف المحيطة بالفرد والتي يعقبها انهيار القيم المجتمعية . وقد اهتم « سلاستر » Claster بعمل بحث امبريقي يفترض فيه ان المنحرفين يدركون قوة القانون بصورة اوضح وبأثار اقل من غير المنحرفين . وقد توصل الى تلك الحقيقة من خلال استبيان حصل منه على استجابات العامة نحو قوة القانون حيث قارن بين المنحرفين وغيرهم من السكان بغية الوصول الى مدى الاستجابة للانحراف . وقد اعتبر هذا مقياسا عاما للادراك وفهم لطبيعة العقاب وان كان ذلك يختلف باختلاف الظروف والأحوال .

وهناك العديد من الدراسات الحديثة التي اهتمت بدراسة الآثار المترتبة على عدم ادراك طبيعة العقاب وكانت أحد الاسباب المؤدية الى ذلك هو جهل الافراد بخطورة العقاب وعدم اتاحة البيانات الدالة على وجود العقاب وكيف يحفظ الفرد نفسه من الوقوع تحت طائفته ، وعدم وجود المقاييس الموضوعية في تحديد طبيعة العقاب . وفي هذا قام تيفان Teevan بجمع بيانات عن بعض طلاب الجامعة الكندية لكي يتحقق من ادراك الافراد للعقاب وخطورته . وقد دلت الاستجابات التي قال بها المستبوعون ان التفكير في العقاب اثابة وخطورة كان سلبيا بعض الشيء فلم يفكر في العقاب وخطورته لا للافراد انفسهم او لاصدقائهم او حتى لمن يشتبهون فيهم .

فبصرف النظر من طبيعة الجريمة الا ان الصورة الغالبة والدينامية للانحراف تأتي من الخارج ونتيجة للتفاعل الاجتماعي . فقد يولد الفرد ولديه اعتماد لممارسة السلوك المنحرف لكنه في الوقت نفسه قد يكتسب هذا السلوك من خلال المعاشية والظروف المحيطة بالفرد .